في موكب الذكرى :

السيدة زينب

حفيدة النبي وبطلة كربلاء

للاستاذ طه عبد الباقي سرور

زينب حفيدة رسول الله ، اسم تردده الشفاه ، فى خشوع كالصلاة ، رفع الله ذكرها ، وأنار سيرتها ، وأفاض عليها من رضوانه حبا وعطرا ، وهدى وطهرا ، تشرق به النفس ، ويستريح لديه الحس ، ويشيع به الانس ، اصطفاها الله من خير بيت فى العالمين ، ومن أزكى سلالة فى النبيين ، ثم حباها واجتباها ، فأفاض عليها لقبا فى الخالدين . انها عقيلة الهاشميين ، وريحانة بيت سيد المرسلين .

أمها فاطمة الزهراء ، ومن له المجد كالزهراء ، بضعة من كبد رسول الله ومن نوره وسناه وهداه ، يريبه ما رابها ، ويسره ما سرها ، وأبوها على ، ومن كعلى ، ينظر اليه الرسول يوم الاحزاب ، وقد خرج لقتال عمرو بن ود العامرى ، فارس الجاهلية وجبارها ، فيخفق قلب الرسول العظيم اشفاقا على أخيه وصفيه وأحب آله اليه ، فيرفع كفه الى السماء ضارعا متبتلا : « **ربى لا تذرنى فردا** » ..

ويقول له يوم « تبوك » يوم أرجف المنافقون بعلى : « ألا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » .

ويهتف صلوات الله وسلامه عليه ، يوم استعصى حصن خيبر على الكماة المقاتلين : « لأعطين الراية غدا ، رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ولا يدخل الجنة كاره لهما : « **قل لا أسالكم عليه أجرا الا المودة** لهذا الشرف الرفيع ، فيقول الرسول صلوات الله عليه : أين على ؟ ..

وشقيقاها الحسن والحسين ، خفقة قلب الرسول ، ونور عينه ،وابتسامة فمه ، وأمل غده ، سيدا شباب أهل الجنة ، من أحبهما فقد أحب الله ورسوله ، ولا يدخل الجنة كاره لهما : « **قل لا أسالكم عليه أجرا الا المودة فى القربى** » .

روى الترمذى . قال : قال صلوات الله وسلامه عليه : « لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه ، وتكون عترتى أحب اليه من عترته ، وأهلى أحب اليه من أهله ، وذاتى أحب اليه من ذاته » .

واخرج الطبرانى عن ابن عمر قال : « آخر ما تكلم به النبى صلوات الله عليه : اخلفونى فى أهل بيتى »

ذلك هو البيت الذى أنجب النبيلة العفيفة المجاهدة ، زينب الخالدة رضوان الله عليها ، وهو بيت ترتكز دعائمه على قلوب الامة الاسلامية ، ويعيش آله فى الحس والشعور والشغاف من حبة فؤاد كل مؤمن .

وهو بيت اختص وحده فى التاريخ بأعجب المتناقضات ، فلم يظفر بيت فى الوجود بمثل ما ظفر به من الحب والاجلال والتقديس .. ومع هذا فلم يشهد بيت فى العالمين ، ما شهد هذا البيت من مآسى ونكبات ومحن .. لقد ابتلى على مقدار مكانته ،فأشد الناس ابتلاء الانبياء ، ثم الامثل فالامثل كما حدثنا الصادق الامين .

ولقد عرف هذا الكوكب الارضى ، الدم والغدر والجحود والمروق منذ وجد عليه الانسان ، ومع هذا فقد مضت وستمضى القرون وتبقى مأساة كربلاء وفاجعة الحسين وآله نسيج وحدها بشاعة وفجورا .

ولقد عاصرت السيدة زينب رضوان الله عليها مأساة بيتها كاملة ، عاصرتها طفلة ، ولمستها فتاة ، وخاضت غمارها ، وتولت زمامها ، وهى سيدة مكتملة .

ولدت رضوان الله عليها فى شعبان من السنة الخامسة للهجرة ، وعاشت مع جدها صلوات الله وسلامه عليه ، يحبوها بعطفه وحبه ، ويرعاها بقلبه وحنانه ، ويداعبها ويشمها ويسميها الريحانة ، ويدللها ويباهى بها ويقول : من فى الناس كابنتى زينب ؟ ..

ثم انتقل صلوات الله وسلامه عليه الى الرفيق الاعلى ، فكانت زينب الطفلة أشد آلى البيت حزنا وألما ولوعة ، لقد كان الرسول كل دنياها وحياتها وأنسها وبهجتها .

ثم مشى الموت الى الزهراء رضوان الله عليها ، فكانت تحتضن وهى فى رمقها الاخير زينب وتبكى وتقول : يا حبيبتى لقد فقدت جدك ثم أمك فلك الله ؟ ثم تضمها الى صدرها وقد رأت فى محياها الجميل الذكاء الخارق ، والحنان الدافق ، واليقظة المبكرة ، فتقول لها : يا زينب لقد تركت الحسن والحسين فى وعايتك فكونى لهما أما .

وعاشت زينب رضوان الله عليها أما لاخواتها جميعا ، عاشت سيدة البيت النبوى وراعيته وحاميته ، وحملت وحدها الأمانة الكبرى فتولت اكبر رسالة فى التاريخ ، رسالة الابقاء على السلالة الذكية الطاهرة يوم أن عصفت الاحداث العظمى بالبيت الكريم .

وتبلغ ريحانة بيت النبوة سن شبابها جمالا وكمالا وزواء وبهاء ، على محياها الكريم الوضيء جلال من النور النبوى ، وفى شمائلها الهاشمية عزة البيت العريق .

ويسارع شباب قريش من أعلى الهامات ، وأكرم البيوتات يطلبون يدها ويرجون نوال الشرف الخالد ، والحسب الباقى الى يوم الدين .

ويختار لها أبوها ابن عمها سليل المجد والفخار عبد الله بن جعفر ، فتزف الى أنبل فتى وأعز رجل ، رجل ينظر اليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه اعجابا واكبارا ثم يقول : « أما عبد الله فيشبه خلقى وخلقى ثم يأخذ الرسول بيمينه فيقول : « اللهم اخلف جعفرا فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه ، وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة » .

وقد بارك الله فى صفقة يمينه ، استجابة لدعاء نبيه ، فظفرت يمينه بريحانه بيت النبوة .

ولكن المأساة تمشى الى البيت الكريم ، فها هى قريش تتألب ضد على كرم الله وجهه ، وها هى الحرب تشتعل من جديد ، وتسارع زينب الى جوار أبيها ، فتعيش معه حروب الجمل وصفين ، ثم تشهد مصرعه الدامى ، واغتياله الدنىء .

وتمشى مطامع الدنيا ، وتتسلل شهواتها الى القلوب والعقول ، فيشهد الحسن رضوان الله عليه العاصفة المدوية ويخوض غمارها ، وتلازمه شقيقته الكريمة العظيمة ، انها أخته وأمه وراعيته ، ويموت رضوان الله عليه شهيدا بالسم وهو على صدرها وبين يديها .

ويأتى دور الحسين رضوان الله عليه ، ويا لهف قلبى على الحسين ، حبيب الرسول وحفيده ، وابن الزهراء ، كيف يمزق آهابه ! ويهدر دمه ! وتستباح محارمه ويذبح ابناؤه ، وتسبى نساؤه وبناته ! لم يقتله الفرس ولا الروم ، وانما قتله . ويأبى قلمى أن يكتبها !؟

عاشت السيدة زينب رضوان الله عليها مأساة كربلاء الدامية ، دقيقة بدقيقة ، ولحظة بلحظة ، وقدمت ولديها شهيدين مع خالهما ، ووقفت كالقمة الشامخة ، كالمنارة المشعة ، وقفت فى مستنقع الموت فى بطولة خارقة ، وفدائية سامقة ، تدفع الموت ويأبى أن يندفع ، وتقاوم الجبروت ويأبى الجبروت الا الدم والعار .

وتضيق حلقة الموت الرهيبة حول الحسين وأخته وبنيه وبناته ، ويمنع عنهم الماء ، وتتخطفهم مخالب الوحوش الآدمية ، وتصمد السيدة زينب صمودا يعجز الكماة ، تحتضن ابن الحسين تحميه من الرماح ، فيسبح الرمح الآثم فوق نحرها وينفذ الى الوليد ليصرعه ، ويغمر دمه كل أثوابها

وتقف تحمى الحسين بروحها وجسدها ، فيمزقون الثوب كله ضاحكين صاخبين قبل أن يمزقون الجسد الكريم .

وتقبض على السيوف المشرعة ، بيدها المجردة لتحول بينها وبين دماء النساء والاطفال ..

لقد شهدت رضوان الله عليها مصرع الأحبة جميعا ، ورأت فناء البيت .. بيتها وبيت النبى !؟ ووقفت على الدماء والاشلاء ترسل الكلم كالصواعق وتنادى جدها وأباها وأخاها ، وتستمطر السماء غضبتها وبطشتها الكبرى، والقلوب قد تحجرت ، والآدمية قد انقلبت .

وتحمل البقية الباقية من بنات النبى سبايا الى مقر الخلافة ، ويطالب وحش آدمى بشرائهن كالجوارى . وتدافع زينب عن بقايا بيت النبوة حتى يبكى الجماد ويتصدع من خشية الله ، والقلوب أشد قسوة من الحجارة .

ويهم المعربدون بقتل على بن الحسين وهو البقية الوحيدة الباقية من ذرية الحسين فتفتديه بنفسها وتحميه بجسدها وتنقذه ببيانها وكلمها من الموت الذى يترصده ، والافواه التى ترجو أن تاكله .

لقد حمت السيدة الطاهرة بطلة البيت النبوى وعقيلته عليا بن الحسين يوم كربلاء ، وحمته يوم دمشق ، وبذلك حفظت لبيت النبوة وجوده . وأبقت للدنيا العطر والنور النبوى .

ثم رحلت السيدة باليتامى الضعاف الصغار الى المدينة ، وعلى صوتها الداوى استيقظ العالم الاسلامى . لقد حملت الى الدنيا أنباء الفاجعة الكبرى ، فقامت حركة التوابين للثأر لدم الحسين وآله ، واستنجد والى المدينة بخلافة دمشق مستغيثا من السيدة التى جمعت حولها أحباب البيت وأنصاره ، وأثارت ببيانها وصرخاتها قضية البيت من جديد .

وأمرت الخلافة السيدة التى الهبت الحجاز ان تغادر المدينة فرحلت الى مصر ومن مصر أخذت تلهب الامويين بشواظ من نار ، وأخذت تضع القواعد للانتفاضة الكبرى التى ستديل من الامويين .

لقد صنعت زينب رضوان الله عليها تاريخ البيت كله ، وأثبتت ان المرأة العربية المؤمنة تصنع التاريخ ، وتحمل الرسالة ، وتؤدى دور البطولة الخالقة .

وغدت الطاهرة ، فى القاهرة ، احدى المحجات والصوى التى تنير لاصحاب المثل العليا طريقهم الصاعد الى الايمان والنور .

ان الذين استشهدوا فى كربلاء لم يموتوا ولم يفنوا ، لقد بقوا وخلدوا وصنعوا الحياة والتاريخ ، فالمثل العليا المنتصرة ، انما تقتات بالاستشهاد ، وتحيا بالتضحية والفداء .

لقد مات وذهب الى النسيان من انتصر فى كربلاء ، وعاش خالدا من استشهد فيها والعاقبة أبدا للتقوى .

لقد وهب آل البيت حياتهم لتظل الشعلة مضيئة ، والمثالية قائمة ، وليبقى قلب العالم الاسلامى دائما فى يقظة متوثبة وخفقة حارة مناضلة .

ورضوان الله عليك يا حفيدة نبينا ، وملهمة ايماننا ، وصانعة أضوء وأسمى ما فى دنيانا من نبل وفداء ، ومجد خالد لا يزول .

والى جوار النبيين والصديقين والشهداء اختارها ربها فى مساء يوم الاحد الرابع عشر من رجب عام ٦٢ من الهجرة . وسلام الله على أمامنا الشافعى اذ يقول :

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم ... من لا يصلى عليكم لا صلاة

« طه عبد الباقى سرور »

فقيدة آل علوان

استأثرت رحمة الله بالسيدة الجليلة ، التقية البارة ، حرم سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية .

وأسرة المجلة اذ تشارك عميدها مصابه الفادح الاليم ، واذ تتقدم الى سماحته بأصدق آيات التعزية ، توقن بانه فى عقيدته وعرفانه وتقواه ، أصبر الناس على قضاء الله ، وأجدر الناس بتقبل أمر الله ، بالتسليم والتفويض .

« وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » .

الهم الله سماحته الصبر والرضا بالقضاء ، وأسبغ على الفقيدة الكريمة شآبيب رحمته ورضوانه ، وأسكنها جناته ، وبارك فى أنجالها ورعاهم وسدد خطاهم ، وأنبتهم نباتا حسنا ، وشملهم بلطفه وبره ، وعوضهم فى مصابهم خير ما يعوض المؤمنين الصابرين .